من القصص الروسى

المبـــــارزة

تأليف الكاتب الروسى : نقولا بيليشوف

(فلاديمير كلادينوف) شاب طويل القامة، وسيم الطلعة ، يبلغ من العمر اثنتين وعشرين سنة يبدو لمن يراه أنه اصغر سناً مما هو عليه ، ذو وجه جميل وشعر مجعد متموج ، يرتدى لباس ضابط : بذلة رسمية وحذاء ركوب طويل ومعطفاً قصيراً وقبعة صغيرة ، واقفاً وسط روضة مغطاة بطبقة رقيقة من الثلوج ، ينظر امامه إلى ضابط آخر ذى وجه احمر وشارب متوسط ، على قيد ثلاثين خطوة منه ، يرفع يده القابضة على مسدسه ثم يسدده نحو فلاديمير .

وقف فلاديمير وقد أطبق ذراعيه فوق صدره حاملا فى إحدى يديه مسدساً ، ولكنه كان غير حافل ولا مكترث لأنه كان ينتظر طلقة غريمه .

ورغماً من ان وجهه الجميل كان يميل إلى الشحوب اكثر من المعتاد إلا انه كان يتلألأ بالشجاعة، وتظهر من ثناياه ابتسامة احتقار .

كان الموقف رهيباً : فبينا كان غريمه مصمما على المبارزة إذا بشاهديه تكاد أعينهما تلتهمه التهاما، وهناك الموت كان يرفرف فوق رأسه ، والبوم لا تزال تنعى حتى تلك الساعة من الصباح ، والدمار يشرف بعينيه الدمويتين من كل النواحى ، وساعة الفناء تقترب لحظة بعد اخرى ...

نعم : لقد كانت المسألة تمس الشرف فى صميمه ، ويجب الفصل فيها دون توان او تأخر . .

وسمع طلق نارى فسرت رعدة فى قلوب الجميع حيث تدلت يدا (فلاديمير) إلى جانبيه، وانحنى على ركبتيه ثم هوى إلى الأرض ... لقد كان راقداً فوق الثلوج مصاباً برصاصة فى رأسه ، بينما كانت يداه ورأسه ووجهه حتى الثلوج حوله ملطخة بدمائه البريئة .

وجرى اليه شاهداه ورفعاه عن الأرض وأكد الطبيب موته وحلت مشكلة الشرف، ولم يبق هناك شيء سوى إخطار فرقته بنبأ موته ... ثم ... ثم بعد ذلك أو قبل ذلك إعلان الخبر — فى تحفظ وعناية — لتلك الأم التى اصبحت بموته فريدة فى الحياة ، لأن ذلك الشاب الذى قتل كان وحيدها ... !!

لم تكن الأم تعرف البتة شيئاً عن مبارزة نجلها ولم يعطها أحد اى فكرة عنها قبل ذلك ، ولهذا

كان القوم فى حيرة و ارتباك ... و اخيراً هدتهم الرأفة بتلك الأم الثاكل إلى أن يصبوا إليها النبأ المر قطرة قطرة حتى تهون فجيعتها وتخف صدمتها ، فاختير (ايفان جولوبنكو) كأصلح فرد يمكنه تأدية تلك المهمة الشاقة.

* * *

استيقظت (بلاجيا بتروفنا) من نومها وأخذت تعد طعام الافطار ، بينما دخل عليها (إيفان جولوبنكو) مكفهر الوجه ، مضطرب العقل . . . فبادرته السيدة العجوز بقولها :

— لقد وصلت يا إيفان وقت تناول الفطور تماماً ، لا بد أن ابنى (فلاديمير) قد دعاك لشرب الشاى معه ؟

فأجاب إيفان باضطراب وخجل : لا ... بينما كنت ماراً . .

— ستغفر له تلك الهفوة ، إنه لا يزال نائما : لقد ذرع الغرفة ذهابا وإياباً طول ليله ، ولذلك فقد أمرت الخادم ألا يوقظه ، ولكن أيحتمل أن تكون قد جئت فى مهمة ضرورية؟

— لا . . بينما كنت ماراً امام هذا المنزل رأيت أن ادخل لحظة أراكم فيها . . .

— إذا كنت تود ان تراه فما على إلا ان آمر الخادم فيوقظه .

— لا . . لا . . لا تكبدى نفسك مشقة ذلك .

ولكن (بلاجيا بتروفنا) كانت تعتقد انه قد اتى ليرى وحيدها فى مسألة تختص بها، فتركت الغرفة متمتمة ببعض كلمات لم يسمعها إيفان ...

سار (إيفان) فى الغرفة ذهابا وجيئة وهو منفعل مهتاج الشعور ضارب إحدى يديه على الأخرى، تأخذه الحيرة كلما عاودته فكرة أداء مهمته. ولا تملك نفسه من اضطرابه وارتباكه كلما فكر فى كيفية إنبائها بهذا النبأ المروع ... كان الواجب عليه أن يبت فى الأمر ، ولكنه فقد توازن عقله فأصابه الخبل، فلعن القدر الذى رمى به بين أنياب هذا الموضوع وألقى على عاتقه ذلك الحمل الفادح .

عند ذلك دخلت (بلاجيا بتروفنا) على زائرها قائلة فى تعجب :

— يخيل إلى أن الشباب ليس أهلا للثقة ، وأن الشبان لا يستحقون منا نحن المسنين أن نضع فيهم ثقتنا، فهأنذا كنت أحدثك عن ابنى فى نومه وحيطتى التى اتخذتها لهدوئه وحذرى من أن تتصل بسمعه ضجة توقظه، ولكنه — كما يلوح لى — قد ترك فراشه منذ أمد لا أحسبه وجيزاً — دون أن يترك وراءه أثراً ما ، ولكن لماذا لم تجلس لتتناول فنجانا من الشاى ؟ لقد أهملت زيارتنا يا إيفان فى المدة الأخيرة إهمالا كبيراً . .

ثم ابتسمت ابتسامة تطقت بما يجيش فى قلبها من مسرة وهناء، ثم استطردت فى كلامها بصوت منخفض :

— وفى خلال تلك المدة التى غبتها عنا حدثت أمور كثيرة لا شك أن فلاديمير قد دفعه حبه لك وثقته فيك إلى إشراكك معنا فى معرفتها،ذلك أن(فلاديمير) ابنى قد أمسى ذا قلب متفتح لأفانين الحب، ولا غرو فانه على وشك الزواج — حسناً .. إذا (كان فلاديمير) قد ذرع الغرفة ذهابا وإيابا طول ليله فذلك معناه أنه يفكر فى حبيبته لينوشكا . وإذا فعل ذلك فلا بد من أن يرحل فى الصباح — آه يا إيفان إننى لا أسأل الله إلا أمنية واحدة هى أن يبقى على حياتى حتى أرى حفلة زواج ابنى بمن يحب . وما ذا ينتظر من عجوز مثلى أكثر من أن تسأل ربها ذلك؟ إنه ليخيل إلى أنه لا حاجة بى إلى الصلاة والتعبد بعد أن أرى وحيدى ولينوشكا زوجين سعيدين فان ذلك كفيل بأن يجعلنى دائمة السعادة والهناءة، فانى ما فكرت فى(فلاديمير) إلا ورأيت الحياة صفحة من الأمل العريض والأحلام الشهية .

وكأنما قد هزها تصورها للسعادة،فترقرق الدمع فى عينيها، ولم يلبث أن سال وانحدر على خديها ،على أنها أتمت كلامها قائلة :

— أتذكر يا إيفان تلك العقبات التى طالما عرقلت تيار هذا الموضوع . . ؟ حين لم يكن قد تمكن حب ابنى من قلب لينوشكا ، وحينما كان الخلاف محتدما بين أهل الخطيبة وبيننا بشأن (الدوطة) المهر . أتذكر كل تلك العقبات ؟ إنها ذللت جميعا ،فلقد حصلت على (الدوطة)التى يطلبونها وقدرها خمسة آلاف روبل ذهبا ، نعم — وأيضاً كتبت إلى لينوشكا خطابا مملوءاً بعبارات الحب ولواعج الغرام . . . آه إن قلبى يكاد يطير فرحاً . . . إنها فتاة جديرة بالاعزاز خليقة بالمحبة .

جلس إيفان يصغى إلى حديثها على أحر من الجمر،فقد كان يفكر فيما سيؤول إليه أمر تلك الأم الرؤوم من تعاسة وشقاء...كان يريد أن يقطع عليها ذلك السيل المتدفق من العبارات ليخبرها أن قد انتهى كل شىء ....أن قدمات وحيدها (فلاديمير) وأن تلك الآمال الحلوة، وهاته السعادة التى يشدو بها لسانها ويترنم بها قلبها ستذبل فى سرعة البرق وتذوى بعد أمد وجيز... كان يود أن يقول لها ذلك ولكنه أصغى اليها فى سكون محدقا بوجهها الصبوح ، غير أنه أحس فى تلك اللحظة برجفة فى حلقه وشرود فى ذهنه، فكتم إحساسه فى نفسه وأخذ ينصت إلى السيدة العجوز وهى تقول وكأنما قد سرى إحساسه إلى قلبها :

— ما بالك اليوم حزيناً مكفهر الوجه .. ؟ ولم تعلو وجهك تلك السحابة الدكناء ؟

كان(ايفان) يريد أن يقول: أجل ، على صفحة وجهى يبدو الحزن وعلى أديم محياى يلوح التألم ، وسوف تكون صفحة وجهك مهد آلام أشد وأقسى،وموطن احزان أمر وأنكى،حين تعلمين نعى ابنك،ولكنه استعاض عن ذلك بأن أشاح بوجهه كأن لم تؤاته أعصابه على تحمل ذلك ،ثم ابتدأ يفتل شاربيه فى تبرم شديد .

كانت (بلاجيا بتروفنا) غارقة فى لجة من بحار أفكارها فلم تلاحظ ما عليه (إيفان) من القلق والضجر فاستمرت فى حديثها قائلة :

— آه . . . إنى أحمل إليك السلام من لينوشكا . . . لقد كتبت إلى فى خطابها ترجونى بحرارة أن أبلغك أسمى تحياتها ، ثم تسألك أن تأتى مع (فلاديمير) لزيارتها ، إنك تعرف بنفسك كم هى تقدر صداقتك . . . لا . . . . . إنه ليخيل إلى أننى لا يمكننى أن أحتفظ به لنفسى ، يجب أن أريك إياه حتى ترى بنفسك جمال أسلوبه ورقة تعابيره .

ثم أخرجت من جيبها حزمة من الرسائل أخذت من بينها خطابا صغيراً وفضته أمام (ايفان) الذى اظلم وجهه ، وكست سحابة من الغم قلبه . . كان يحاول أن يتخلص من الموضوع ولكن (بلاجيا بتروفنا) كانت على تمام الاستعداد لأن تقرأ الخطاب فابتدأت :

عزيزتى (بلاجيا بتروفنا) : متى سيأتى ذلك اليوم الذى أتمكن فيه من أن أدعوك بوالدتى العزيزة الشفيقة ، إننى أنتظره بفروغ صبر وآمل أن سيحل فى القريب العاجل حتى ان رغبتى الشديدة فى قدومه تخيل إلى أن أدعوك من الآن بأمى العزيزة .

توقفت (بلاجيا بتروفنا) عن القراءة ورفعت رأسها ثم نظرت إلى (ايفان) بعينين محملتين بالدموع قائلة :

— إنك لترى ياإيفان . . .

ثم توقفت عن الكلام حينما رأت (إيفان) يعض شاربه بقلق بينما يترقرق الدمع من مآقيه ، فوضعت يدها المضطربة على شعره ثم قبلت جبهته فى سكينة وهدوء وقالت بصوت منخفض أفصح عن تأثرها :

— شكراً لك ياإيفان فلطالما كنت اعتقد أنك أنت وفلاديمير اخوان أكثر منكما صديقين سامحنى ياولدى . . إن هذه السعادة فوق ما أحتمل ، أشكرك يارب . . .

ثم انهمرت دموعها بغزارة على خديها واضطرب إيفان وارتبك أيما ارتباك حتى انه لم يستطع إلا أن يمسك بيدها الباردة ذات العظام البارزة ، ويمطرها وابلا من القبلات . . . لقد خنقته العبرات وترجح الدمع فى عينيه ، فلم يستطع النطق بكلمة واحدة ، وفى وسط ذلك الحنو الأمى أحس إيفان بعار يتلبسه حتى آثر فى تلك الساعة أن لو كان ملقى وسط الحقل وقد أصابته الرصاصة فى رأسه ، على أن يسمع بأذنيه عبارات المديح فى صداقته وكلمات التقريظ فى أخوته من تلك العجوز التى ستعرف حقيقة موقفه بعد نصف ساعة على الأكثر ، وماذا عساها تظن به ؟ ألم يكن ذلك الصديق بل الأخ الذى وقف مكتوف اليدين بينما المسدس مصوب نحو (فلاديمير) ؟ ألم يكن ذلك الأخ بعينه هو الذى قاس المسافة بين المتخاصمين ؟ ألم يكن هو أيضاً الذى اختبر مسدسيهما ؟ بلى لقد فعل كل ذلك ، وبمحض إرادته . . . والآن هاهو ذلك الصديق بل ذلك

الأخ يجلس صامتا وليس لديه الشجاعة حتى ليؤدى المهمة التى من أجلها أتى ! ! !

كان خائفا ، فقد شعر بضعف فى قلبه وحشرجة فى حلقه وأسى يعتريه بشدة ، وكلما أحس بذلك كلما حارت قواه عن تجريد (بلاجيابتروفنا) من لحظات سعادتها الأخيرة، وماذا يقول لها وكيف يبدأ الكلام ؟ لهذا فقد (إيفان جولوبنكو) شعوره كلية.

كان أمامه الوقت متسعا كى يلعن فى نفسه المبارزات والشجار وكل أنواع البطولة، وكل نزاع على مايسمى « ردالشرف » وأخيراً قام من مقعده واستعد : إما للاعتراف أو الفرار ، وبكل هدوء وسرعة أمسك بيد (بلاجيابتروفنا) وانحنى عليها حتى لثمها ، وعلى حين غرة استسلم تماما إلى ضعفه ، فأخذت تنحدر العبرات من ماقيه كأنها السيل المتدفق ، وفى لحظة — وبدون أى تفكير — جرى إلى الردهة الخارجية للمنزل وأخذ معطفه ثم ولى هاربا دون كلمة واحدة فنظرت إليه (بلاجيابتروفنا) فى تعجب ثم قالت فى نفسها:

— لابد أنه هو الآخر يحب... حسناً! إن ذلك ماهو إلا تكديرة بسيطة تسبق السعادة المنتظرة !

وفى الحال نسيته وتغلغلت فى أحلامها عن السعادة التى خيل إليها أنها لا يمكن أن تمس بسوء ؟

محمد احمد عبد الله

الصفات الوراثية والصفات المكتسبة

(بقية المنشور على الصفحة رقم ١٢٢٠)

١ — إن الصفات العارضة للانسان فى حياته ، جسمية كانت أو عقلية أو خلقية ، لا تنتقل بالوراثة إلى أولاده كما هى .

٢ — إذا كانت الصفة المكتسبة هى حدوث خلل فى بعض الأعضاء بحيث يتضاءل أو يصبح عاطلا فانها لا تنتقل بالوراثة .

٣ — إن الصفات المكتسبة التى تسمم الجسم أو تحدث خللا فى المجموعة العصبية على الأخص تؤثر فى النسل تأثيراً كبيراً .

٤ — إن الصفات المكتسبة التى تتكرر أجيالا ربما تصبح وراثية كما هو مشاهد فى تطور صفات الأنواع على حسب مذهب النشوء .

وبعبارة أشد اختصاراً من هذه يمكن أن يقال: إن الصفات التى نأخذها عن آبائنا بالوراثة تنتقل إلى أبنائنا بالوراثة أيضاً، أما الصفات التى نكتسبها فى حياتنا فانها لا تنتقل كما هى وإنما ينتقل ما تحدثه فى المخ أو غيره من الأعضاء الحيوية من آثار .

وسنتكلم عن كيفية الانتفاع بقوانين الوراثة فى نواح مختلفة ، وعن الوراثة والزواج ، فى عدد آخر إن شاء الله ؟

حامد عبد القادر